حياة إنسانة

يتيمةُ أم طواها الدجى
تهادت إلينا كومض الرؤى
على حين أغفت عيون البشر
وملّ النداميَ كئوس السمر
ونام الحليُّ ونام الشجي
ولم يبق إلا الطريد الشقيّ
وهذه اليتيمة بنتَ الدجى
إذا ما أطلتَ إليها النظرْ
وأعملت فيها ضروب الفكرْ
تحسستَ سخرية للقدر
ورسماً لزيشته الساخرهْ
إذا أبدعت صورة القاهره

يتيم المساء بأجفانها
مساءٌ رهيب كأحزانها
تفرُّ من البرد مذعورةً
وترجع للبرد مأسورةً
كعصفورة وقعت في اللهيبْ
تخبطُ حيرى تريد الهروب
ويهمي عليها حنان السماءْ
سيولا من الماء تروي الظماء
ولكن أتروي جياعَ البطون
سوى جرعة من مآقي العيون
وتحنو عليها يدٌ المرصيف
فتُلقي إليه بجسمٍ نحيفْ
وأحلامُ غصنٍ طواه الخريف
وليلين جوعٍ ويأس مخيف

رأتني فقالت : أمثلي شقيّ
أبوكَ وأمكَ يأسٌ خفيّ
أم الآن كنتَ بحانٍ طليّ
ولحنٍ حنون وكأس سنيّ
وغادرتَ حاناً لصيد شهي
وقلتَ : لعلي بقايا بغي

إذا شئتَ جسماً فهاك العظامْ
فما عاد لي غير هذا الحطامْ
وأنّى لمثلي لقيا الغمام
وعمرك فجر وعمري ظلام

وأخفيت حزني في ضحكةٍ
وقلت : أوَعظٌ بلا عمّةٍ ؟؟
وربَّ فقيه بلا حكمةٍ
يعيش من المال في تخمةٍ
مواعظه آيةٌ في البيانْ
يذيب القلوبَ بطرف اللسانْ
وفي الليل يَعبُد بنتَ الدنان
وينسى التقى في رُضاب القيان

وبينا انا اجتلي سرها
وتسبر عيني اغوارها
وأقرأ في عينها سفرها
واسمع في الصمت إعصارها
وبينا تقول : اعطني أيَّ شيّ
وترقبُ انظارها مُقلتيْ !!
وامسك قرشاً باحدى يدي
إذا بي أفاجأ بالعسكري
ويفجؤها منه وقعُ العصي
ويبدو الصراخ كهمس خفي
ويحرمها الضعف من دمعةٍ
وتجري الصبيّة في حيرةٍ
وقد امسكت يدُها الحائرهْ
بثوبيَ ضارعة حائره !!
وتصرخ آهاتها الباكيه
لأرحمها من يد قاسيه

وثار فؤادي لتلك الفتاهْ
وما جرّعت من مآسي الحياه
وباعدتُ عنها يد العسكريْ
فقال : ابتعد أيُّهذا الشقي
فما انت إلا مدبٌّ غبي !!
وصيد شهي لأذكى بغي

وعدت الى منزلي كي انامْ
وقهقهة العسكري الهمامْ
لها في ضميريَ وقع السهام
ورحت اغطُّ بدنيا النيام
واحلم اني بارض السلام
فلا جوع او ذلة او ظلام
ولكن حياةٌ لخير الجميع !!
وقانونها : العدل يحمي الربوعْ
وخبز يحلُّ محل الدروع

ولما جلا الصبح عنه اللثامْ
صحوت وقمت اريد الطعامْ
وضعت يدي ابتغي «الحافظهْ»
فلم ألْفِ الا يدي فارغه
وقلت لنفسيَ : واحسرتاهْ !!!
خدعتَ الفتاة خدعت الفتاه!!!
لقد حسبتَ ان عندي نقودْ
وان بجيبي مالَ اليهودْ
ستلعن حظاً رماها بيا
وليلا اضاعته في صيديا
وما حسبت انها مثليا

اما عرفت انني شاعرُ
وحافظتي قلبها شاعرُ
وحافظتي مثل أيامياً !!
فلا شيء فيها سوى شعريا
وطيف رهيب لاوهاميا
وصورة بؤسي وعنوانيا

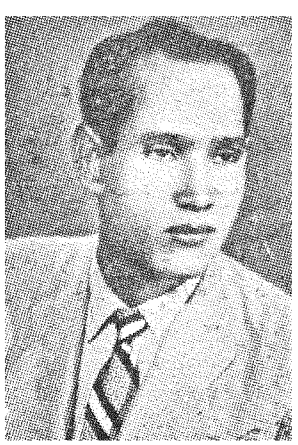

القاهرة — سعد دعبيس